ویژهٔ تراجم، کتاب‌شناسی، نسخه‌پژوهی، نقد کتاب

کتاب شیعه

سال اول، شمارهٔ دوم، پاییز و زمستان ۱۳۸۹ — دوفصلنامهٔ تخصصی مؤسسهٔ کتاب‌شناسی شیعه

ISSN: 2228-5679

۲

ابراهیم بن حکم بن ظهیر ◆ جایگاه علمی اجتماعی ابن مخلّد، از اساتید سنّی مذهب شیخ طوسی ◆ حقیقة الإیمان شهید ثانی با إیضاح البیان زین‌الدین بن محسن عاملی ◆ چگونگی مرجعیت و نشر فتاوی شیخ اعظم انصاری ◆ حاج شیخ جعفر شوشتری ◆ دکتر سید محمد علی شهرستانی ◆ زندگی‌نامه‌های خودنوشت: شیخ حسین واعظ شوشتری، محمد تقی نیرتبریزی، میرزا محمّد حسین نائینی و شیخ محمد غروی سندی از حدود هشتاد سال پیش راجع به تحول در حوزه نجف اشرف ◆ پنج نامه منتشر نشده از استاد فقید دکتر ابوالقاسم گرجی ◆ هبه نامه و وصیت نامه سید دلدار علی ◆ سه اجازه از بزرگان حلّه ◆ اجازه ابن ابی جمهور به سید حسن بن ابراهیم بن یوسف بن ابی شبانه بیست و پنج رساله در موضوع نذر بعد از وفات ◆ نگاهی به الاخبار الدخیله ◆ الأربعین فی إمامة أمیر المؤمنین ◆ آفاق نجف گزارش سفری به ریاض ◆ تصحیح أعیان الشیعة ◆ نامه شیخ آقا بزرگ تهرانی به آیة الله ملا محمد جواد صافی نکته‌ها ◆ آثار نویافته

کتاب پیوست: مُلحق امل الآمل

حول ديوان الشريف المرتضى

عبدالسلام محمد هارون — مراجعة: السيّد عبدالستار الحسني

سال پنجم شماره اول دوم
بهار تا زمستان ۱۳۹۳

كنت ممّن تأدّب قديماً بأدب المرتضى، وكنت أصطحب أماليه المسمّاة بـ: الغرر والدرر، وأرجع إليها بين الفينة والأُخرى، ولا تزال هذه الأمالي مني على طرف الثمام،[1] مرجعاً هامّاً[2] من أصول الأدب واللغة والتفسير والحديث، وسائر ألوان الثقافة العربية الخالدة.

وكنت أقرأ شيئاً من شعره منثوراً بين شتّى المراجع، وهو نادرٌ قليل، ولم أكن أعلم باليوم الذي يظهر فيه ديوانه الجبّار على يد عالمٍ أديبٍ فاضلٍ من أُدباء العراق، هو الأُستاذ رشيد الصفّار. والأُستاذ الصفّار جدير بكلّ تقدير، لأنّه بذل جهداً صادقاً في أن يرى النور هذا الديوان الكبير. ولم أكن أتوقّع أن ينهض بهذا العبء الأدبي رجلٌ هو في زمرة المحامين فيستقل به ولا ينوء بحمله، ولكنّي ألفيته فيما بعد يضطلع بحمله ويظهره عملاً هو أقرب ما يكون إلى الكمال.

والشريف المرتضى هو أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمّد بن [موسى أبي سبحة بن][3] إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين [بن أبي طالب] عليهم السلام.

وأخوه الشاعر الشريف أبو الحسن محمد الرضى (٣٥٩ - ٤٠٦).

وأبوهما أبو أحمد الحسين الملقّب بالطاهر ذي المناقب. لقّبه بذلك الملك بهاء الدولة البويهي. وكان أبو أحمد زعيم الطالبيّين وإمامهم وزعيمهم. وهو الذي رثاه أبو العلاء المعرّي بقصيدته:

أُوْدَى فليْتَ الحادثاتِ كَفافِ — مَال المسيفِ وعنبرُ المستَافِ

---

١. الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه الخوص، وربما حشي به وشد به خصائص البيوت في العصور القديمة، ومن صفاته أنه لا يطول، فيشق على المتناول. ومن أمثال العرب: «هو على طرف الثمام»، يضرب به المثل فيما ذكروا للأمر يسهل مطلبه. (الحسني)

٢. هذا خطأ شائن شاع استعماله على ألسنة المتأخرين وأسلات أقلامهم: لأن الهام بمعنى المحْزن، والصواب أن يقال: مرجعاً مهماً. (الحسني)

٣. إضافة لتصحيح النسب. (الحسني)

يعتبر هذا المقال من المقالات التراثية التي نشرت في مجلة رسالة الإسلام قديماً في ثلاث مقالات بجمعها في مقال واحد. تعوّض فيها الأستاذ المحقق عبدالسلام محمد هارون إلى سيرة الشريف المرتضى وحياته العلمية أولاً، وشعره وديوانه، ونماذج من أشعاره ثانياً، ثم اهتم بنقد الديوان الذي طبع بتحقيق الأستاذ المرحوم المحامي رشيد الصفار وتقديم شيخ الأدباء الشيخ محمد رضا الشبيبي، ومراجعة الدكتور مصطفى جواد.

www.noormags.ir

يقول فيها:

وَيحقُّ في رُزْء الحُسينِ تغيُّر الـ
حرسَيْنِ بَلْهَ الدرَّ في الأصدافِ

وقد عاصر الشريف المرتضى أربعة من الخلفاء، وهم: المطيع وقد توفّي هذا الخليفة والمرتضى لم يتجاوز الثامنة. ثمّ الطائع الذى استمرت خلافته إلى سنة ٣٧١. ثمّ القادر الذى استمر فيها إلى سنة ٤٢٢. ثمّ ابنه القائم وهو آخر من عاصره المرتضى منهم.

كما عاصر من دولة البويهيّين بهاء الدولة، وأبناءه شرف الدولة، وسلطان الدولة، وركن الدين جلال الدولة، ثمّ أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة. وكان المرتضى وثيق الصلة ببهاء الدولة البويهي، وكان شعره وشعر أخيه الرضيّ يُنشدان في مجالس بهاء الدولة. وليس بخافٍ أنّ دولة البويهيّين كانت موئلاً للشعراء والأدباء، ومجالاً فسيحاً لنتاجهم الفني الذى يلقى عندهم كلّ إكبار وإعزاز وتقدير.

وعاصر الشريف المرتضى من العلماء الأُدباء أستاذه العلّامة المفيد[٤] الذي قرأ عليه هو وأخوه الرضي الفقه والأصول، وكذلك الشاعر ابن نباتة السعدي، وهو أبو نصر عبد العزيز بن عمر السعدي وقد درسا عليه اللغة، كما تتلمذ المرتضى على أبي عبيد الله المرزباني في الشعر والأدب، وأكثر من الرواية عنه في الأمالي.

وممّن عاصره أبو - إسحاق الصابي، وهلال بن المحسّن التنوخي،[٥] وعلي بن المحسن التنوخي، وأبو الحسن السمسمي تلميذ أبي علي الفارسي.

وكانت وفاة المرتضى لخمس بقين من ربيع الأول[٦] سنة ٣٤٦ ببغداد، حيث صلّى عليه ابنه في داره ودفن بها. ويروى أنّه قال عند وفاته:

لَئِنْ كانَ حظّي عاقَني عن سعادَتي
فإنّ رَجَائِي واثقٌ بِحَليمِ
وإنْ كنتُ في زادِ التقيّةِ والتُّقى
فقيراً، فقد أمسَيْتُ ضيفَ كريمِ

حياته العلمية:

وللمرتضى مؤلّفات ومصنّفات أربت على السبعين مؤلفاً في فنون شتّى من فروع الثقافة الإسلامية. وقد اختلف الناس في نهج البلاغة[٧]، أهو من جمعه، أم من جمع أخيه الرضي؟[٨]

وممّا يجدر ذكره أنّ الشريف المرتضى كان من القوّام بأمور دار العلم في بغداد التي كانت تعدّ أعظم مدرسة للعلوم والآداب، وكان في مدرسة الخاصة نحو ثلاثين ألف جزء.

وكانت له في داره مدرسة خاصّة تعهد بكفاية طلابها مؤونة العيش ومطالب الحياة، إذ وقف عليها قريةً من قراه تنفق مواردها على قراطيس الفقهاء والتلاميذ الذين كانت تجرى عليهم الجرايات الشهرية، كالشيخ الطوسي الذي كان

---

٤. هو الفقيه محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الملقّب بالشيخ المفيد، المكنى بأبي عبد الله، وابن المعلّم، وقد لقبه شيخه علي بن عيسى الرماني بالشيخ المفيد.

٥. هذا وهم وخلط غريب من الأستاذ المحقق الكبير عبد السلام محمد هارون (المتوفى سنة ١٩٨٨م)؛ فإن هلال بن المحسّن التنوخي هذا ليس أخاً لعلي بن المحسّن التنوخي القاضي، لكنه وافقه باسم الاب (المحسّن)، وهلال بن المحسّن ليس تنوخياً، بل هو حفيد أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب المشهور، وكان صابئياً، ثم أسلم في أواخر عمره، وكانت ولادته في سنة (٣٥٩هـ)، وتوفي في سنة (٤٤٨هـ).

وهلال بن المحسّن التنوخي كان من مشاهير الكتاب المعاصرين للسيد المرتضى، وقد وردت ترجمته في جملة من المصادر، منها: تاريخ بغداد، والمنتظم، ووفيات الأعيان. (الحسني)

٦. قال المجد الفيروزابادي من مادة «ربع» من القاموس: «... فربيع الشهور شهران بعد صفر، ولا يقال إلا: شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر». (الحسني)

٧. ممّا لا ريب فيه أنّ كتاب نهج البلاغة هو من جمع الشريف الرّضي، والاختلاف المذكور في غير محلّه. (كتاب شيعة)

٨. وفيات الأعيان، ج١، ص ٣٣٦.

www.noormags.ir

يجري عليه اثني عشر ديناراً في كلّ شهر.

ولاغروفي ذلك، فقد قدر المؤرّخون دخله من أملاكه الخاصّة بأربعة وعشرين ألف دينار في العام، كما ذكروا أنّه كان يمتلك من القرى والضياع نحو ثمانين قرية بين بغداد وكربلاء، ينساب فيما بينها نهر حُفَّ بالأشجار الوارفة الظلال، ما بين مزهرة ومثمرة، وقد أبيحت للسابلين والعابرين ثمارها وقطوفها.

وكان المرتضى يذهب مذهب الشيعة الإمامية، في قوله بتوحيد الله عزوجل وعدله، وامتناع صدور الظلم منه، وأنّ الخلود في النار إنّما هو للكفّار خاصّة، وأنّ ارتكاب الكبيرة من أهل المعرفة والإقرار لا يخرج من الإسلام، وأنّ الأئمّة اثنا عشر، أوّلهم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وآخرهم: محمد بن الحسن المهديّ المنتظر، وهم جميعاً معصومون.

وليس بصحيحٍ أنّ المرتضى كان معتزلياً أو رأساً في الاعتزال، كما يتّضح عند التحقيق، إذ لا يمكن الجمع بين كثيري من الآراء التي تقال هنا وهناك.

وكان رحمه الله علماً في المناظرة متكلّماً، يسترعي إعجاب حاضريّ مجلسه. وقد سئل عنه أبو العلاء المعريّ بعد أن حضر مجلساً من مجالسه، فأجاب:

يَا سَائِلِي عَنْهُ لمَّا جئتُ أسأَلُهُ
فإنَّهُ الرَّجُلُ العَارِي عن العارِ

لوْ جِئْتَهُ لرأيتَ النَّاسَ في رَجُلٍ
والدَهْرَ في سَاعَةٍ والأرْضَ في دَارِ

وذكر بعض الإمامية أنّ المرتضى أوّل من بسط كلام الإمامية في الفقه، وناظَرَ الخصوم، واستخرج الغوامض، وقيّد المسائل، وفي ذلك يقول:

كانَ لَولايَ غائِضاً مَكرعُ الفِقْـ
ـه، سَحيقَ المدَى بحر الكلامِ

وَمَعَانٍ تشطُّ لطفاً عن الأفْـ
ـهَامِ قَرَّبْتُها مِنَ الأَفْهَامِ

وَدقيقٍ ألحقتُهُ بِجَلِيلٍ
وَحَلالٍ خلّصتُه مِن حَرَامِ

وكان المرتضى رجلَ دين، يضع الدين في المقام الأوّل، وأنت تلمح في أماليه أنّه يضع مسائل التفسير والحديث في صدر كلّ مجلس من مجالسه، ثمّ يستطرد منها إلى الأدب والشعر واللغة ومسائل العربية والنقد، وبهذه الخاصّة تمتاز أماليه عن نظائرها من أمالي العلماء والأدباء.

جانب من أخلاقه:

كان المرتضى سمحاً جواداً، مبسوط اليد، فائضَ الكرم. ويذكرون أنّ يهودياً أفلسَ في مجاعة شديدة، فاحتال ليحصل على القوت، فحضر يوماً مجلسَ المرتضى، فاستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم، فأذن له وأمر له بجائزة تجري عليه كلّ يوم، فقرأ عليه برهةً ثمّ أسلم على يده.

ومن مشهور القصص في ذلك ما رواه التبريزي:

أنّ أبا الحسن علي بن أحمد الفالي[٩] كانت له نسخة من جمهرة ابن دريد غاية في الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها، فاشتراها الشريف المرتضى بستّين ديناراً، وتصفّحها فوجد بها أبياتاً بخطّ الفالي المذكورة:

أنِسْتُ بها عِشْرِينَ حولاً وبعتُهَا
لَقَدْ طالَ وَجْدي بَعدَهَا وحَنِيْنِي

وَمَا كانَ ظنّي أنَّنِي سَأبِيْعُهَا
وَلَوْ خَلَّدَتْنِي في السُّجُوْنِ دُيُوْنِي

وَلَكِنْ لضَعْفٍ وافْتِقَارٍ وصِبْيَةٍ
صِغَارٍ عَلَيْهِمْ تستهلُّ شُؤُونِي

٩. نسبة إلى فالة (بالفاء)، من بلاد خوزستان.

www.noormags.ir

فَقُلْتُ وَلَمْ أملِكْ سَوَابِقَ عبرةٍ
مَقَالَةَ مَكْوِيِّ الفُؤَادِ حَزِيْنِ:
«وَقَدْ تُخْرِجُ الحَاجَاتِ يا أمَّ مَالكٍ
كَرَائِمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنَّ ضَنِيْنِ»[10]

فرَجع النسخة إليه وترك الدنانير.

وعلى حين نجد أخاه الشريف الرضيّ طموحاً نزّاعاً إلى الخلاف ممنياً نفسه بها، ويقول في ذلك مخاطباً نفسه:

هَذَا أمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ مُحَمَّدٌ
كَرُمَتْ مَغَارِسُهُ وَطَابَ المَوْلِدُ

أوَمَا كَفَاكَ بِأنَّ أمَّكَ فَاطِمٌ
وأبُوْكَ حَيْدَرَةٌ وَجَدُّكَ أحْمَدُ

نلقى الشريف المرتضى مصروفاً عن هذا المطمع، مشغولاً بالعلم والدرس، زاهداً في بهرج السلطان وزيف السياسة، ذامّاً للدنيا راغباً عنها:

وَحُبُّ بني الدُّنيَا الحَيَاةَ مَسِيئَةً
بِهِم، ثُلْمَةٌ في النَّفْسِ أعْوَزَ سَدُّهَا

تَخَفَّفَ مِن أزْوَادِهَا مِلْءَ طَوْقِهِ
فَهَانَ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ فَقْدُهَا

ويقول:

قُلْ لِلَّذِي رَاحَ بعزٍّ واغْتَدَى
يَسْحَبُ مِنْهُ مُطرَفاً[11] مورّدا

صَنِيْعَ مَنْ يَطمَعُ أنْ يخلّدا
جَمَعْتَ ما لابُدّ أنْ يُبَدَّدا

إنْ لَمْ يزُلْ في يَومِهِ زَالَ غَداً
يا جَامِعَاً لغيرِهِ مُحتَشِدَا

نضَدتَ مالاً هل نضدت أملاً
سيّان مَنْ سَارَ يجرُّ العَدَدَا

وَمَنْ يطَلَّ واحِداً مُنْفَرِداً
كلاهما مُفَارِقٌ ما وَجَدَا

المرتضى الشاعر:

لم يحظ المرتضى في الشعر بمثل شهرة أخيه الشريف الرضى، فقد عرف الرضيّ بالشعر، وارتضاه الأدباء ورووا له، وسارت قصائده، ونبغ منها الكثير، ولا كذلك الشريف المرتضى، الذى لم يواته الحظ في الشهرة.

ولعلّ مرجع ذلك إلى كثرة أعدائه وحساده، ولعلّ مرجعه أيضاً إلى أنّه كان مكثراً، والإكثار قد تفارقه الجودة. كما يظهر لمتصفّح ديوانه، أنّ الطابع العلمي والحرص على إظهار المقدرة اللغويّة واتّساع الأُفق العلمي، كلّ ذلك جعل شعره في مستوى لا يستهوى جمهرة الأدباء مثل ما يستهويهم شعر أخيه الرضي.

كما أنّ سمات الحزن، ومظهر الشكوى والتبرّم التي تسود شعره، ممّا كان يتعرّض له من فتن العامّة والطغام، أفقدت شعره ضوء البهجة التي يطلبها الناس في الإنتاج الفنّي.

وكذلك إجلال تلاميذه له، وحرصهم على رواية آثاره الدينية والعلمية؛ لما له من إمامةٍ دينيّة مرموقة، صرفهم ذلك عن أن ينشطوا لرواية شعره، فأصابه بعض الخمول.

وليس معنى ذلك أن يخرج المرتضى من جلّة فحول الشعراء، فهو لا جرم شاعر فحلٌ له وزنه ومقداره.

وكان الشريف المرتضى حريصاً على إظهار براعته في النظم واقتداره، متوجّهاً إلى إبراز سيطرته على القوافي الصعاب غير

---

١٠. البيت قديم، وقد ضمنه شعره كما ضمنه قبله كثيرون. انظر سمط اللآلي، ج ٣، ص ٨٩.

١١. المطرف، بكسر الميم وضمها: واحد المطارف، وهي أردية من خز (نوع من الثياب) مربّعة لها أعلام. (الحسني)

www.noormags.ir

المألوفة، فهو يقول في قافية الثاء:

قِفَا بِي عَلَى تِلْكَ الطُّلُول الرَّثَائِثِ
مُحِينَ بنسْجِ المُعْصِرَات المَوَاكِثِ

ولا تَسْأَلوا عَنْ إصْطِبَارٍ عَهِدتما
فَقَدْ بانَ عَنّي بانْتِهَاكَ الحَوَادِثِ

كأنَّ فُؤَادِي بالنَّوَى لعبَتْ بِهِ
نُيُوبُ لُيُوْثٍ أو مَخَالِبُ ضَابِثِ

أجوّلُ في الأطلالِ نظرةَ عابثٍ
وَمَا أنَا حُزْناً واشتياقاً بِعَابِثِ

كأنّي وَقَدْ سَارَتْ مَطِيُّ حُدُوجهم
ألاطمُ مَوْجَ اللُّجَّةِ المتلاطِثِ

وفي قافية الخاء:

أَبي يَعصِبُ الغاوُون ما في عيابِهِم
ويَلطَخني بالشّرّ مَن هو مُلطَخُ

ولو شئْتُ أضحَى بَيْنَ دَارِي وبَيْنَهُمْ
بَساطُ بعيد للمطايا وبرزخُ

كأنّي مقيمٌ بين قومٍ أذلّةٍ
أميمُ رزايا بالجنادِلِ يشدخُ

ولي مهجةٌ لم يَبْقَ إلاّ طلولُها
تُرَشّ بأنواعِ الهُمُومِ وتُرضَخُ

وفي قافية الزاي:

إنْ كُنْتَ ترغَبُ في الثَّوَا ءِ بِهَذِه الدُّنْيَا عَزِيْزَا
فاحْذَرْ مُنَى الأَطْمَاعِ أنْ تُعنى بهَا أوْ أنْ تحُوْزَا
لا تُرْعِهَا سَمْعَاً فإنْ نَ لَهَا القَعَاقِعَ والأزِيْزَا
كَمْ آمِنٍ أضْحَى المُطَا حَ بِهَا وَقَدْ أمْسَى الحَرِيْزَا
أيْنَ الَّذِين عَلَى التِّلَا عِ تَبَوَّؤوْا الوَطَنَ الحَجِيْزَا
سَحَبُوا وَرَاءَهُمُ الجُيُوْ شَ وَطَالَمَا سَحَبُوْا الخَزُوْزَا

وفي قافية الغين:

أقُوْلُ لَهَا لمّا الْتَقَيْنَا عَلَى منًى
وأبْرَزَهَا ذَاكَ الخِمَارُ المصبَّغُ

وأبْدَتْ صُدُوْدَاً لمْ يَكُنْ عَادَةً لَهَا
وقدْ يَتَجَنَّي في الهَوَى المُتَمَرِّغُ

لَقَدْ خَانَ مَن أدَّى المَحَالَ إلَيْكُمُ
وَمَانَ عَلَيْنَا في المَقَالِ المبلّغُ

شُغِلنَا وأَنْتُمْ فَارِغُوْنَ وَلَمْ يَعُجْ
عَلَى ذِي اشْتِغَال دَهْرَهُ المتفرّغُ

كأَنِّيَ أشْكُو الحُبَّ شَكْوَى مُجَمْجِمٍ
فتًى ضَلَّ عَنْ وَادِي البَلَاغَةِ أَلْثَغُ

وشعر المرتضى ذو قيمة تاريخيّة عظيمة، فقد كان المرتضى على صلة برجال دهره، وكان معنيّاً بتسجيل كثير من المناسبات التاريخيّة، فبذلك يعد شعره سجلاً فسيح الجنبات، مرآة صادقة للعصر الذي كان يحياه.

وللشريف المرتضى مجالٌ واسعٌ في مدح الخلفاء والوزراء والأشراف، ولم يكن يسترفد أو يستجدي بشعره، فقد كان ذا ثراءٍ عريض وسعة في العيش.

وهو حين يمدح الخلفاء ويمجدهم يذكر في شعره أنّه من عشيرة الخليفة، وأنّ الأرومة الهاشمية جمعت بينهما، فكأنّه إنّما يمدح الخليفة ليفخر بنفسه. يقول في مدح الخليفة القادر:

وَأَنَا الَّذِي يُنْمي إلَيْكَ وِلَاؤُهُ
أبَدَاً كَمَا يُنْمَى إلَيْكُم مَوْلِدِي

ويقول في تعزيته له عن ولده:

فَخْرَاً بَنِي عَمِّ الرَّسُوْلِ فَأَنْتُمُ
أَزْكَى المَغَارِسِ فِي الأَنَامِ وأَطْيَبُ

www.noormags.ir

إرْثُ النَّبِيّ لَكُمْ وَدَارُ مَقَامَةٍ
وَالوَحْيُ يُتْلَى بَيْنَكُم أو يُكْتَبُ

والبُرْدُ فيْكُم والقَضِيْبُ وأنتُمُ الـ
أدْنَوْنَ من أغْصَانِهِ والأقْرَبُ

وأخوه الشريف الرضيّ كان ينهج هذا المنهج في مدح الخلفاء، إذ يقول للخليفة القادر:

عَطْفاً أمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ فإنَّنَا
فِي دَوْحَةِ العَلْيَاءِ لا نَتَفَرَّقُ

مَا بَيْنَنَا يَوْمَ الفَخَارِ تَفَاوُتٌ
أبَداً كِلانَا فِي المَعَالِي مُعْرِقُ

إلّا الخِلَافَةَ مَيَّزَتْكَ فَإنَّنِي
أنَا عَاطِلٌ مِنْهَا وَأنْتَ مطَوَّقُ

المراثي في شعر المرتضى:

ونستطيع أن نتبيّن من ثنايا شعره أنّه كان رجلاً جمّ الوفاء، يدلّ على ذلك كثرة المراثي التي رثى بها أهله وأصدقاءه، ومن تربطه بهم صلة القرابة أو النسب بل نجد له مراثي في أقوام مجهولين، كقوله يرثي صديقاً له لم يذكر اسمه:

نَادِ امْرءاً غيّبَ خلفَ النَّقَا
فَكَمْ فَتَىً ناديتُه ما وَعَى

وَقُلْ لِمَنْ لَيْسَ يَرَى قائلاً:
بأيِّ عَهْدٍ دَبّ فِيْكَ البِلى

وكيْف دُلّيتَ إلى حُفْرَةٍ
يَمْحُوكَ مَحْوَ الطِّرْسِ فيها الثَّرى؟

يقول فيها:

وَكَيْفَ أسْلَاه وَبِي صَبْوَةٌ
أمْ كَيْفَ أنْسَاهُ وَفِيْهِ الهَوَى؟

كَانَ كَنَارٍ أضرَمَتْ وانطَفَتْ
أوْ بَارِقٍ مَا لَاحَ حَتَّى انْجَلَى

أوْ كَوْكَبٍ مَا لحظتْ نُوْرُهُ
فِي أفْقِهِ العَيْنَانِ حَتَّى خَوَى

وقوله يرثي صديقاً آخر:

أَلَا يَا لَقَوْمِي لاعْتِنَانِ النَّوَائِبِ
وَلِلْغُصْنِ يُرْمَى كُلَّ يَوْمٍ بِشَاذِبِ

وَلِلنَّاسِ إمّا ظَاعِنٌ حَانَ يَوْمُهُ
وَإمَّا مُقِيْمٌ لاجْتِرَاعِ المَصَائِبِ

يقول فيها:

خَلِيلَيَّ قُوْمَا فَانْدُبَا مَنْ بقُربِهِ
لَهَوْتُ زَمَاناً عن سَمَاعِ النَّوَادِبِ

وَيَا لَهْفَتِي مِنْهُ عَلَى ذِي مَوَدَّةٍ
بَرِئ الأدِيم من قروف المَعَايِبِ

نَسِيْبِي بالوِدّ الصحيحِ وأقْرِبِي
وصاحِبِي الأَدْنَى إذَا أزوَرَّ صَاحِبِي

ويبدو أنّ الشريف كان قد نصب نفسه شاعراً اجتماعياً يقول الشعر في المناسبات الخاصّة والعامّة. واستمع إليه يعزّي القاضي أبا القاسم العسكري عن ولد له توفّي غريقاً، إذ يقول:

إنَّ هَذَا الزَّمَانَ يأخُذُ مِنَّا
كُلَّ يَوْمٍ خِيَارَنَا والخِيَارَا

وأعزّاؤُنَا إذَا لَمْ يَفُوْتُو
نَا صِغَاراً فَاتُوْا وَمَاتُوا كِبَارَا

وفيها:

إنَّما المَرْءُ طَائِرٌ سَكَنَ الوَكْـ
ـرَ قَلِيْلاً مُهَجّراً ثُمَّ طَارَا

فَطِوَالُ السِّنِيْنَ بَعْدَ تَقَصٍّ

www.noormags.ir

وَنَفَاد مَاكُنَّ إلّا قِصَارَا

أيُّ بَدْرٍ لَمْ يُنْتَقَصْ بِمَحَاقٍ
بَعْدَ أنْ كَانَ لِلعُيُونِ اسْتَدَارَا

وَظَلَامٍ مَا جَاءَ غِبَّ صَبَاحٍ
مَلَأ الأَرْضَ كُلَّهَا واسْتَنَارَا

ثمّ هويسلك إلى تعزيته سبيل الدين، ويذكره في ذلك بخشية الله، ويرجيه ثوابه:

وَاصْطَبِرْ مُؤْثِراً تَفُزْ بِثَوَابٍ
لا تُضِعْهُ بأنْ صَبَرْتَ اضْطِرَارَا

لا تَشُكَّنَّ بالّذِي قَسَمَ الأعْـ
ـمَارَ فَاللهُ قَسَّمَ الأَعْمَارَا

وَاصْحُ كي تُدْرِكَ الثَّوَابَ فَكُلّ النّـ
ـنَاسِ فِي هَذِهِ الخُطُوب سُكَارَى

وهذا ولد آخر لعميد الرؤساء أبي طالب يسقط عليه السقف فيقضي صريعاً، فلا يجد الشريف مندوحة عن رثائه، إذ يحسن عزاءه بقوله:

مَا أَسَاءَ الزَّمَانُ فَيْكَ الصَّنِيْعَا
فَاشْكُرِ اللهَ سَامِعَاً وَمُطِيْعَا

أخَذَ اللهُ وَاحِداً ثُمَّ أَبْقَى
لَكَ مِمَّنْ تَهْوَى وَتَرْجُو جَمِيْعَا

فَهَبِ الحُزْنَ لِلسُّرُورِ وَلَا تُذْ
رِ عَلَى مَا مَضَى وَفَاتَ دُمُوْعَا

مَا لَنَا تَجْزَعُ وَلَو أنَّهُ كَا
نَ لحوشِيْت أنْ تَكُونَ جَزُوْعَا

قَدْ شَكَرْنَا يَداً تَجَافَتْ عَنِ الأصْـ
ـلِ وَإن جَثَتِ الغُصُونَ فُرُوْعَا

وقوله:

وَالمُصِيْبَاتُ لا يُصِبْنَ سَوَى الأخْـ
ـيَارِ مِنَّا إذَا وَلَجْنَ الرُّبُوْعَا

وَإذَا لَمْ يَكُنْ سِوَى المَوْتِ فَالمَا
ضِي بَطِيْئاً كَمَنْ يَمُوتُ سَرِيْعَا

ويموت مؤدب ولده فيرى من الحقّ عليه أن يرثيه بقول:

إنْ كَانَ غَيَّبَكَ التُّرَابُ الأحْمَرُ
وَحَلَلْتَ مَوْتَاً لا يَزُوْرُكَ زُوَّرُ

فَلَقَدْ جَزِعْتُ عَلَى فِرَاقِكَ بَعْدَ مَا
ظَنُّوا بِأنّي عَنْكَ جَهْلَاً أصْبِرُ

ثمّ ينساق في تيّار الزهد والتصوّف إذ يقول:

خُذْ بِالبَنَانِ مِنَ الحَيَاةِ، فَإنَّمَا
هُوَ عَارِضٌ مُتَكَشِّفٌ مُتَحَسِّرُ

وَدَعِ الكَثِيْرَ فَإنَّمَا لِهُمُوْمِهِ
جَمَعَ النُّضَارَ إلى النُّضَارِ مُبَدِّرُ[١٢]

وَكَأنَّمَا ظِلُّ الحَيَاةَ عَلَى الفَتَى
ظِلٌّ أتَاهُ فِي الهَجِيْرِ مُهَجِّرُ

ثمّ يذكر أنّ حرمة الأدب تقوم مقام حرمة النسب، وأنّ أصله الأعجميّ لا يزرى به؛ فإنّ للأعاجم المثقفين فضلاً يعلو بهم على كثير من العرب الذين لم ينهلوا من معين العلم:

إنْ لَمْ تَكُنْ مَن عُنْصُرِي وَأُرُوْمَتِي
فَلِحُرْمَةِ الآدَابِ فِيْنَا عُنْصُرُ

أوْ لَمْ تَكُنْ لِلعُرْبِ فِيْكَ وَلادَةٌ
فَالمُعْرِبُونَ كلامَهم بكَ بصّرُوا

مَا ضَرَّ شَيْئَاً مَن نَمَتْهُ أعَاجِمٌ

١٢. النضار: الذهب. والمبدر: الذى يجمع المال بدرا. والبدرة: مقدار من المال يوضع في كيس، قيل عشرة آلاف درهم، وقيل غير ذلك.

www.noormags.ir

وَلَدَيْهِ آدابُ الأعَارِبِ تَسْطرُ
وَلَكُمْ لَنَا عُرْبُ الأُصُولِ تَرَاهُمُ
عُمْيَاً عَنِ الإعْرَابِ لم يَسْتَبْصِرُوا

ومن أشهر مراثيه رثاؤه لأخيه الرضيّ، وكان الرضيّ أصغر سنّاً منه بأربع سنوات، وقد جزع المرتضى لوفاته جزعاً شديداً، لم يستطع أن ينظر إلى أخيه في السياق، ولا محمولاً على أعناق الرجال، أو يشهده وقد دلّي في قبره وأهيل عليه التراب؛ لم يطاوعه قلبه، ولم يطاوعه شديد حبّه لأخيه، ففرّ من كلّ أولئك إلى مشهد موسى بن جعفر، وتكفّل بالصلاة عليه ودفنه الوزير فخر الملك.

وقد ذكر المرتضى هذا الوزير في هذه المرثيّة التي يستعلن فيها انكساره وضعفه، وحيرته القاتلة، وإظلام الدنيا في عينيه، وتراكم الهموم عليه في قسوة وعنف:

قِدْنِي إلَيْك فَقَدْ أمِنْتَ شِماسِي
وَكَفِيْتَ مِنِّي اليَوْمَ صِدْقَ مِرَاسِي

وَلَقَيْتَنِي متخشّعاً لَا يُرتَجَى
نَفْعِي، وَلَا يُخْشَى العَشِيّةُ بَاسِي

أسْرِي بِلا هادٍ بِكُلِّ مَضلّةٍ
وأجُوْبُ مُظْلِمَةً بلا مِقْبَاسِ

وَأذُوْدُ عَنْ قَلْبِي الهُمُوْمَ كَأنَّنِي
أحْمِي أُسُوْدَ شَرَى عَنِ الأخْيَاسِ

ويذكر أنّه كان يخشى قديماً ذلك اليوم الذي يشهد فيه مصرع أخيه، وأنّ فجيعته به أفقدته الصبر والعزاء، ولم يستطع معهما المصابرة والمجالدة:

مَا زِلتُ أَحْذَرُ وِردَهَا حَتّى أَتَتْ
فَحَسوْتُهَا في بَعْضِ مَا أَنَا حَاسِ

رَادَيْتُهَا، فَلَقِيْتُ مِنْهَا صَخْرَةً
صَمّاءَ مِنْ جَبَلٍ أشَمّ رَاسِ

وَمَطَلْتُهَا زَمَناً، وَلَمَّا صَمَّمَتْ
لَمْ يَثْنِهَا مَطْلِي وَطُوْلُ مِكَاسِي

وَمَنَعْتُهَا دَمْعِي فَلَمَّا لَمْ تَجِدْ
دَمْعَاً تَحدَرَ أفْدَتْ أنْفَاسِي

ثم يأبى أن يترك فخره بأرومته الشريفة، واعتزازه بدوحته العريقة:

وَمُصِيْبَة وَلَجَتْ عَلَى سُرُجِ الهُدَى
آلِ النَّبِيّ حَفَائِرَ - الأرْمَاسِ

ثُلِمُوا بِهَا بَعْدَ التّمَامِ كَأنَّمَا
ثُلِمُوا بِجَدْعِ الأنْفِ يَوْمَ عُطَاسِ

ويسجّل أنّ أخاه مات قصير العمر، إذ لم يتجاوز السابعة والأربعين:

وَاهَاً لِعُمْرِك مِنْ قَصِيرٍ طَاهِرٍ
وَلَرُبَّ عُمْرٍ طَالَ بالأرْجَاسِ

ثمّ يذكر ما كان من وفاء فخر الملك، ومن نيابته عنه في القيام بحقّ أخيه الذى لم تمكنه رقة قلبه من أن يقوم به:

مَنْ مُبْلِغٌ فَخْرَ المُلُوك بِأَنَّنِي
لِلفَضْلِ مِنْ نَعْمَاهُ لَسْتُ بِنَاسِ

شَرَّدْتَ عَنّي كُرْبَهَا مِنْ غُمَّةٍ
وَعَدَلْتَ لِي الإيْحَاشَ بالإينَاسِ

إن كَانَ فَرْعِي قَدْ مَضَى وَبَقَيْتَ لِي
فَالفَرْعُ مَسْدُولٌ عَلَى الآسَاسِ

وَلَئِنْ رُزِيْتُ فَقَدْ مَحَوْتَ رَزِيّتِي
بِيَدَيْك مَحْوَ النِّقْسِ مِن قِرطَاسِ

وهو لا ينسى أن يرثي فخر الملك نفسه بمرثية يقول فيها:

فُجِعتُ بِمُشْبِعِ السَّغَبَاتِ جُوْدَاً

سال پنجم شماره اول دوم
بهار تا زمستان ۱۳۹۳

www.noormags.ir

وَنَاقِعِ غُلَّةٍ الهِيْمِ العِطَاشِ
وَوَهّابِ اللُّهَى فِي يَوْمِ سِلْمٍ
وَضَرَّابِ الكُلَى يَوْمَ الهِرَاشِ
تَغَلْغَلَ حُبُّهُ فِي أُمِّ رَأسِي
وَخَاضَ وِدَادُهُ مِنّي مُشَاشِي
وَأفرَشَنِي القُتَادَ أسَى عَلَيْهِ
فَلَيْتَ لِغَيرِهِ كانَ افتِرَاشِي

وكما رثى أخاه الرضيّ رثى أُختاً له بمرثية تنطق بأنّها قيلت في عقيلة من العقائل، يقول فيها:

فَللّهِ أعْوَادٌ حَمَلْنَ عَشِيَّةً
خَبِيْئَةَ بَيْتٍ لا يَرَى السَوْءَ طَارِقُهْ
عَلَى الكَرَمِ الفَضْفَاضِ لُطَّتْ سُتُورُهُ
وَبِالبِرِّ وَالمَعرُوفِ سُدَّتْ مَخَارِقُهْ
وَلَيْسَ بِهِ إلّا العَفَافُ وَمَا انْطَوَتْ
عَلَى غَيرِ مَا يَرضَى الإلَهُ نَمَارِقُهْ
قِيَامُ سَوَادِ اللَّيْلِ يَنْدَى ظَلَامُهُ
وَصَوْمُ بَيَاضِ اليَوْمِ تحمى ودائِقُهْ
فَدَتنِي كَمَا شَاءَتْ، وَمَا شِئْتُ أنَّهَا
فَدَتنِي وَلَا كَانَ الّذِي حُمَّ سَابِقُهْ
وَلَو أنَّنِي أنصَفْتُها مِنْ رِعَايَتِي
وَقَابَلْتُهُ رُزْءاً بِمَا هُوَ لَائِقُهْ
لَأَكرَعْتُ نَفْسِي بَعدَهَا مَكْرَعَ الرَّدَى
تُصَابِحُهُ حُزْناً لَهَا وَتُغَابِقُهْ

ولتلاميذ المرتضى كذلك نصيب من شعر المناسبات، فهو يقول في رثاء تلميذ له يدعى التباني:

قَدْ كُنْتَ فِينَا جَدلاً مُحَقِّقَاً مُدَقِّقَا
مَا فَاتَكَ العِلْمُ وَلَا ضَلَلْتَ فِيْه الطُّرُقَا
لَحِقْتَ مَا طَلِبْتَه كَمْ طَالِبٍ ما لَحِقَا

مراثي الحسين عليه السلام:

أمّا الوفاء الكبير الذي كان يحيط بمشاعره إحاطةً تامّة، ويستثير كوامن لواعجه، الوفاء المقرون بالصدق، فقد صاغه غرراً من قصائده يقولها الفينة بعد الفينة، يبث فيها كامن حزنه، وكامل إجلاله لجدّه [الإمام] الحسين بن على رضي الله عنهما، وهو الأصل الذي انبثقت منه الدوحة الكبرى للعلويّين.

وتعدّ هذه المراثي من أصدق شعره وأروعه، إن لم تكن أصدقه وأروعه:

أأُسْقَى نَمِيْرَ المَاءِ ثُمَّ يَلَذُّ لِي
وَدُوْرُكم آلَ الرَّسُوْلِ خَلَاءُ
وَأنتُمْ كَمَا شَاءَ الشَّتَاتُ، وَلَستُمُ
كَمَا شِئْتُمُ فِي عِيْشَةٍ وَأَشَاءُ
تُذَادُونَ عَنْ مَاءِ الفُرَاتِ، وَكَارِعٍ
بِهِ إبِلٌ لِلْغَادِرِيْنَ وَشَاءُ
تَنَشَّرَ مِنْكُم فِي القَوَاءِ مَعاشِرٌ
كَأَنَّهُمُ لِلمُبْصِرِينَ مَلاءُ
أَلَا إنَّ يَوْمَ الطَّفِّ أَدمَى مَحَاجِراً
وَأدْوَى قُلُوباً مَا لَهُنَّ دَوَاءُ

هذه اللوعة الصارخة تتبعها لوعةٌ أخرى، وغضبة مدوية لآل البيت:

وَهَلْ لِيَ سُلْوَانٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ
شَرِيدُهُمُ مَا حَانَ مِنْهُ ثَوَاءُ
تُصَدّ عنِ الرَّوَحَاتِ أيدِي مَطِيِّهِمْ

www.noormags.ir

وَيُزوَى عَطَاءٌ دُونَهُمْ وَحبَاءُ
كَأَنَّهُمُ نَسْلٌ لِغَيْرِ مُحَمَّدٍ
وَمِنْ شعبِهِ أو حِزْبِهِ بُعَدَاءِ

ثمّ يفيض دمعه، ويثور ما كان ساكناً من حزنه، فيقول:

دَعُوا قَلْبِي المَحزُونَ فِيكُم يُهِيجُهُ
صَبَاحٌ عَلَى أَحْرَاكُمُ ومَسَاءُ
فَلَيْسَ دُمُوعِي مِنْ جُفُونِي، وَإِنَّمَا
تَقَاطَرْنَ مِنْ قَلْبِي فَهُنَّ دِمَاءُ

وفي يوم (عاشوراء)، وهو اليوم المشؤوم الذي شهد مصرع [الإمام] الحسين[13]، تعاوده الذكريات، التي يسجلها شعره في روائع الكلم؛ ويستعلن الحداد في قوله:[14]

إنَّ يَوْمَ الطَّفِّ يَوْمٌ
كَانَ لِلدِّيْنِ عَصِيْبَا
إنَّهُ يَوْمُ نَحِيبٍ
فالتَزِمْ فِيْهِ النَّحِيبَا
عَطِ تَامُوْرَكَ، وَاترُك
مَعْشَراً عَطُّوا الجُيُوبَا[15]
وَاهْجُرِ الطِّيْبَ فَلَم يَتـ
ـرُكْ لَنَا عَاشُوْرُ طِيْبَا
لَعَنَ اللهُ رِجَالاً
أَتْرَعُوا الدُّنْيَا غُصُوْبَا
سَالَمُوا عَجْزاً، فَلَمَّا
قَدَرُوا شَنُّوا الحُرُوبَا
رَكِبُوا أَعْوَادَنَا ظُلـ
ـماً وَمَا زِلْنَا رُكُوبَا

ثمّ يصبُّ جام غضبه على قاتليه، ويتكهّن بالعاقبة الطوبى لآل البيت:

طَلَبُوا أَوْتَارَ بَدْرٍ
عِنْدَنَا ظُلْماً وَحُوْبَا
وَرَأَوا فِي سَاحَةِ الطَّفـ
ـفِ وَقَدْ فَاتَ القَلِيبَا[16]
قَدْ رَأَيتُمْ فَأَرُونَا
مِنْكُمُ فَرْداً نَجِيبَا
أَو تَقِيّاً لَا يُرَائِي
بِتُقَاهُ أو لَبِيبَا
كُلَّمَا كُنَّا رُؤُوساً
لِلوَرَى كُنْتُم عُجُوبَا
فِي غَدٍ يَنضَبُ تَيـ
ـيَارٌ لَكُمْ فِينَا نُضُوبَا
وَيَعُودُ الخَلقِ الرَّ
ثُّ مِنَ الأَمرِ قَشِيبَا
وَالَّذِي أَضْحَى وَأَمْسَى
نَاكِباً يُضْحِي نَكِيبَا

وفي يوم عاشوراء من السنة التالية للعام الذي قال فيه هذه المرثيّة نجده يقول مرثيّةً أُخرى مطلعها:

يَا خَلِيلِي وَمُعِينِي كُلَّمَا رُمتُ النُّهُوضَا
دَاوِ دَائِي أو فَعُدنِي مَعَ عَوَّادِي مَرِيضَا

يقول فيها: - - -

قَدْ أَتَى مِنْ يَومِ عَاشُو رَاءَ مَا كَانَ بَغِيضَا

١٣. كان مصرع الحسين في يوم عاشوراء سنة ٦١ وهو ابن ٥٨ سنة.
١٤. صنع هذه القصيدة سنة ٤٢٩.
١٥. العط: العشق. والتامور: القلب، أو حبه القلب.
١٦. القليب: البئر، أراد بها قليب بدر، أشارة إلى هزيمة أسلافهم في غزوة بدر.

سال پنجم شماره اول دوم
بهار تا زمستان ۱۳۹۳

www.noormags.ir

دَع نَشِيجِي فِيهِ يَعلُو وَدُمُوعِي أن تَفِيضَا
إنَّهُ يَوْمٌ سُقِينَا مِن نَوَاحِيهِ مَضِيضَا
هُزِلَ الدِّينُ وَمَن فِيـ ـهِ وَقَد كَانَ نَحِيضَا[17]

وهو لذلك لا يزال يتوعد المغتصبين:

قُلْ لِقَوْمٍ لَمْ يَزَالُوا فِي الجِهَالَاتِ رُبُوضَا
غَرَّهُمْ أنَّهُمُ سَا دُوا وَمَا شَادُوا بَعُوضَا
فِي غَدٍ بالرَّغْمِ مِنْكُم سَتَرُدُّونَ القُرُوضَا
سَوْفَ تَلْقَوْنَ بِنَاءً لَكُمُ طَالَ نَقِيضَا
وَقِبَاباً أنتُمُ فِيـ ـهَا وِهَاداً وَحَضِيضَا

ولا تزال ذكرى عاشوراء ماثلة له بكل سبيل، إذ يقول في مرثية أخرى:

يَا يَوْمَ عَاشُوْرَاء كَمْ أطْرَدْتَ لِي أمَلاً
قَدْ كَانَ قَبْلَكَ عِندِي غَيْرُ مَطْرُودِ
أنْتَ المُرَنِّقُ عَيْشِي بَعْدَ صَفْوَتِهِ
وَمُولِجُ البِيْضَ مِنْ شَيبِي عَلَى السُّوْدِ

ويقول في يوم عاشوراء في السنة الخامسة والثلاثين بعد الأربعمائة، مصوراً غدر القاتلين:

قَدْ غَدَرْتُمْ كَمَا عَلِمْتُم بِقَوْمٍ
لَمْ يَكُنْ فِيهِمُ فَتىً غَدَّارَا
وَدَعَوْتُم مِنْهُم إلَيْكُمْ مُجِيْباً
كَرَماً مِنْهُم وَعُوْداً نَضَارَا
آمَنُوكُمْ فَمَا وَفَيتُمْ وَكَمْ ذَا
آمِنٌ، مِنْ وَفَائِنَا، الغَدَّارَا
وَأَتَوكُمْ كَمَا أرَدْتُم فَلَمَّا
عَايَنُوا عَسْكَراً لَهُمْ جَرَّارَا
وَسُيُوفاً طَوَوْا عَلَيْهَا أكُفَّاً
وَقَنَاً فِي أيْمَانِكُمْ خُطَّارَا
عَلِمُوا أنَّكُمْ خدعْتُم وَقَدْ يُخْـ
ـدَعُ مَكْراً مَنْ لَمْ يَكُنْ مَكَّارَا

ويقول ناعياً على عمر بن سعد بن أبي وقاص، الذى قاد الحملة ضد أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء، بأمر عبيد الله بن زياد:

وَيْحَ ابْنِ سَعْدٍ عُمَرٍ[18] أنَّهُ بَاعَ رَسُوْلَ اللهِ بالنَّزْرِ
بَغَى عَلَيْهِ فِي بَنِي بِنْتِهِ وَاسْتَلَّ مِنْهُم أنْصُلَ المَكْرِ

وتلّح عليه الذكرى في قصيدةٍ أُخرى يقول فيها:

فَكَمْ أجْرَى لَنَا عَاشُوْرُ دَمْعاً وَقَطَّعَ مِنْ جَوَانِحِنَا النِّيَاطَا
وَكَمْ بِتْنَا بِهِ واللَّيْلُ دَاجٍ نَمِيْطُ مِنَ الأَذَى مَالَمْ يُمَاطَا
يُسَقِّيْنَا تَذَكُّرُهُ سَمَاماً وَيُولِجُنَا تُوَجِّعُهُ الوَرَاطَا

وهو في رثائه الحسين عليه السلام ما يبرح يندّد ببني أميّة، ويقذفهم بعبارات التهديد والإيعاد:

فَقُلْ لِبَنِي حَرْبٍ وَفِي القَلْبِ مِنْهُمُ
دَفَائِنُ تَبْدُو عَنْ قَلِيْلٍ وَتَظْهَرُ:
ظَنَنْتُم، وَبَعْضُ الظَّنِّ عَجْزٌ وَغَفْلَةٌ
بِأَنَّ الَّذِي أسْلَفتُمُ لَيْسَ يُذكَرُ
وَهَيْهَاتَ! تَأبَى الخَيْلُ وَالبِيْضُ والقَنَا
مَجَارِي دَمٍ لِلفَاطِمِيِّيْنَ تُهْدَرُ
وَلَسْتُم سَوَاءً وَالَّذِينَ غَلَبْتُمُ
وَلَكِنَّهَا الأَقْدَارُ فِي القَوْمِ تَقْدَرُ
وإنْ نِلْتُمُوهَا دَوْلَةً عَجْرَفِيَّةً
فَقَدْ نَالَ مَا قد نَالَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ

ويدعو عليهم في قصيدةٍ أُخرى:

فَلَا حُدِيَتْ بِكُمْ أَبَداً رِكَابٌ

سال پنجم شماره اول دوم
بهار تا زمستان ۱۳۹۳

۱۷. النحيض: الكثير اللحم والنحض. اللحم نفسه. والقطعة الضخمة منه تسمى نحضة.

۱۸. صرفه لمراعاة الوزن. (الحسني)

www.noormags.ir

وَلَا رَفَعَتْ لَكُمْ أَيْدٍ سِيَاطَا
وَلَا رَفَعَ الزَّمَانُ لَكُمْ أَدِيْمَاً
وَلَا ازدَدْتُم بِهِ إلّا انْحِطَاطَا

وَلَا عَرَفَتْ رُؤُوسُكُمُ ارْتِفَاعَاً
وَلَا أَلِفَتْ قُلُوبُكُمُ اغْتِبَاطَا

وَلَا غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذُنُوبَاً
وَلَا جُزْتُم هُنَالِكُمُ الصِّرَاطَا

ويفخر عليهم في قوله:

فَقُلْ لِبَنِي حَرْبٍ وإنْ كَانَ بَيْنَنَا
مِنَ النَّسَبِ الدَّانِي مَرَائِرُ تُحْصَفُ:[١٩]

أفِي الحَقِّ أَنَا مُخْرِجُوكُم إلَى الهُدَى
وأَنْتُمْ بِلَا نَهْجٍ إلَى الحَقِّ يُعْرَفُ

وَإنّا شَبَبْنَا فِي عِرَاصِ دِيَارِكُمْ
ضِيَاءً وَلَيْلُ الكُفْرِ فِيهِنَّ مُسْدِفُ

وَإنّا رَفَعْنَاكُم فَأشرَفُ مِنْكُمُ
بِنَا فَوقَ هَامَاتِ الأَعِزّةِ مُشْرِفُ

وَهَا أنتُمُ تَرمُوْنَنَا بِجَنَادِلٍ
لَهَا سُحُبٌ ظَلْمَاؤُهَا لَا تُكَشَّفُ

لَنَا مِنْكُمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
قَتِيلٌ صَرِيعٌ أَوْ شَرِيدٌ مُخَوَّفُ

فَخَرْتُم بِمَا مُلِّكْتُمُوهُ وَأَنْتُمُ
سِمَانٌ مِنَ الأَمْوَالِ إذ نَحْنُ شُسَّفُ

وَمَا الفَخْرُ يَا مَنْ يَجْهَلُ الفَخْرَ لِلفَتَى
قَمِيْصٌ مُوَشَّىً أَوْ رِدَاءٌ مُفَوَّفُ

وَمَا فَخرُنَا إلَّا الَّذِي هَبَطَتْ بِهِ الْـ
مَلَائِكُ أَوْ مَا قَد حَوَى مِنْهُ مُصْحَفُ

* _ * _ *

هذه هي أهمّ المعالم البارزة في شعر الشريف المرتضى، وهي أصدق شعره تعبيراً عن قلبه، وما يضطرم في زواياه من مشبوب العواطف، وما يختلج فيه من تيّارات نفسيّة عارمة.

أمّا شعره في الشيب والشباب فهو ممّا يذكره له النقّاد والمؤرّخون، حتّى لَيَصِحُّ أن يذكر في الرعيل الأول من الشعراء الذين عالجوا القول في هذه المعاني، وأسهبوا في تقديم الصور البيانيّة لهاتين الظاهرتين الرائعتين.

ولسنا بحاجةٍ إلى عرض من هذه الصور، فقد تضمّنها كثيرٌ من مطاوي ديوانه، كما ساق جمهرتها في كتابه الشهاب في الشيب والشباب، الذي طبع في الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ

وللشريف شهرةٌ خاصّةٌ في ذكر الطيف، وفي ذلك يقول ابن خلّكان: «وإذا وصف الطيف أجاد فيه، وقد استعمله في كثير من المواضع».

وهو مع ذلك لم يسرف في تناوله بصوره الشعريّة مثلما صنع في الشيب والشباب. وقد ضمّن كثيراً منه كتابه طيف الخيال الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٧٤ هـ، وفي بغداد سنة ١٣٧٧هـ

قصّة نشر الديوان:

لم يكن نشر ديوان الشريف المرتضى - فيما يرى الناشر - بالأمر المعتاد، بل هو أمرٌ تسبقه مقدّمات، ويتقدّمه خيال وطيف أحلام.

يقول الأستاذ الصفار في مقدّمته الطريفة:

قبل عشر سنوات، وفي إحدى الليالي الحالمات طاف عليّ طائف في منامي لازلتُ أتخيّله، شخصاً رَبْع القامة، نحيف الجسم أبيضه، مشرباً بسمرة خفيفة

١٩. المرائر: الحبال. تحصف: تفتل. كناية عن القرابة الوثيقة.

www.noormags.ir

مستملحة، ذا لحيةٍ كثّةٍ وخطّ الشيب أكثرها، وعمامة سوداء حسن متعجرها، وقلنسوة في اللون مثلها، جلّلته الهيبة العلوية ووسمته السمات الهاشمية، فأضفَت عليه حشمة ووقاراً.

أقبل عليّ ثمّ قعد إلى جنبي - وأراني في مكتبتي أترقّب شيئاً أو أتوقّع أمراً - ناولني كتاباً لفّ في منديل. كأنّه مهدى إليّ، أخذته مبتهجاً فرحاً. ولشدّما يبهجني ويسرني اقتناء الكتب ومطالعتها، وبالأخصّ المخطوط منها.

لم تمضِ على صبيحة تلك الليلة الحالة الممتعة بضعُ ساعات، حتّى وافاني أحد معارفي - وأنا في مكتبتي - وهو رجلٌ عُرف بمعاطاة الكتب النادرة والتحف النفيسة، فناولني كتاباً لفّ بمنديل كما رأيته في رؤياي وقال لي: خذ ضالّتك. فتحته فإذا مكتوب على أول صفحة في طغرائه ....

ثمّ يمضي السيّد الصفّار في صفة تحقيق تلك الرؤيا التي رأى، ويمضى في مقدّمته ذاكراً أنّه عرض عمله على العلاّمة الدكتور مصطفى جواد الذى كان له فضل أي فضل في أن يخرج الديوان على هذا الوضع الذي ظهر للناس ....

وقد صُدّر هذا الديوان بثلاث مقدّمات، أُولاها: للسيّد العالم العراقى الأُستاذ محمد رضا الشبيبي. وقد تضمّنت هذه المقدّمة بحوثاً عميقة، تنمّ عن علمٍ غزيرٍ واطلاعٍ واسع، تناولت سيرة المرتضى من شعره، حيث وضّح السيد فيها سيرة المرتضى مع معاصريه من رجال الدولة على اختلاف منازعهم وتباين مشاربهم، كما تناول مأساة الخليفة الطائع الذي أجبر على التنازل عن الخلافة، وأخذ خطّة بذلك التنازل ليستخلف بعده القادر بالله، وذلك في أيّام بهاء الدولة الديلمي.

وتناول كذلك الشريف المرتضى (الشاعر العالم).

وتلى هذه المقدّمة مقدّمة الدكتور مصطفى جواد، ينوّه فيها بالديوان. ثمّ تغلبه طبيعة المؤرّخ، فيكتب تحقيقاً في مدفن المرتضى، ذهب فيه إلى أنّ الشريف المرتضى دفن في داره، وأنّ التربة المجاورة لمشهد الإمام موسى بن جعفر المعزوّة إلى الشريف ليست له ألبتّة. ثمّ يكتب تحقيقاً دقيقاً في تعيين الموضع الذي كانت فيه دار الشريف.

والمقدّمة الثالثة لمحقّق الديوان، وفيها ترجمة مستفيضة للشاعر ولأُسرته، وذكر سماته الخلقية والخلقية، وكلمة في خزانة كتبه الخاصّة وولوعه بجمع الكتب، وبيان شيوخه، وعقيدته ومذهبه الكلامي، ومذهبه في الفقه والأُصول، واجتهاده ومسلكه في تعليل الأخبار وتأويلها، وبراعته في المناظرة وعلم الكلام، وعلمه باللغة وغريبها، وبيان فلسفته، ورأيه في النفس وعدم تجرّدها، وقوله في المنامات والأحلام، وفيه نسبتها إلى النفس، ورأيه في المنجّمين، وذكر ما كان بينه وبين أبي العلاء المعرّي من محاورة فلسفة عميقة، وبيان منزلته الاجتماعيّة والسياسيّة، وبيان معاصريه وأصحابه من الخلفاء والملوك، والوزراء والنقباء والأمراء والعلماء.

ثمّ ذكر تلاميذه، ثمّ وفاته ومدفنه، وبيان عقبه ونسله، ثمّ بيان مؤلّفاته وفهرس كتبه التي أربت على السبعين، والقول في شاعريّة المرتضى وديوان شعره، ثمّ الكلام على فسخ الديوان.

وهذه المقدّمة الأخيرة كما ترى، تعدّ دراسةً جامعةً للشريف المرتضى، تتّضح بها شتّى جوانب حياته الاجتماعية والسياسية والعلمية، وهي جديرة بالثناء العظيم، لما بذل المحقّق فيها من جهد، وما أظهره من قدرة على البحث والتحقيق.

وقد اعتمد المحقّق في إخراج ديوانه على مخطوطات ثلاث: هي نسخة السماوي، ونسخة الشبيبي، والنسخة الهندية. وقد وصف هذه النسخ في دقّة وعناية كاملة.

ولكن الذي يؤخذ على الأُستاذ الناشر، أنّه خرج على المألوف في التحقيق، وجانب الأصول المرعية في النشر.

www.noormags.ir

١. فهو قد ضمّ إلى الديوان الأصيل وفي أثنائه جميع ما عثر عليه من شعر المرتضى في المراجع المختلفة، أعني: كتب الشريف المرتضى نفسه، كالشهاب في الشيب والشباب، وطيف الخيال، وكذا ما عثر عليه في كتب أخرى، مثل مناقب ابن شهرآشوب، وكشكول البهائي[٢٠] وأنوار الربيع، وغيرها ممّا لم يذكر في أصول الديوان.

وهذا بلاريب عدوانٌ على الديوان، فإنّ ديوان أي شاعر من الشعراء إنّما هو الكمية المعيّنة التي رواها الرواة له إن كان هو لم يُعْنَ بجمع شعره، أو التي ارتضاها الشاعر من شعره، وأجاز روايتها إن كان قد عنى بجمع شعره.

ونحن نعلم أنّ كثيراً من الشعراء المعاصرين وغير المعاصرين لا يثبتون في دواوينهم من الشعر إلاّ ما ترضاه أنفسهم وتطمئنّ إليه قلوبهم. ولذلك نجد ديوان شوقي ليس هو كلّ شعره، بل إنّه طرح منه كثيراً، ولم يعترف بالبعض الآخر.

ونعلم أيضاً أنّ الشريف المرتضى قد صنع ديوانه بنفسه، وقرىء شعره عليه كما يفهم من دراسة الأصول المخطوطة التي وصلت إلينا. ومعنى ذلك أنّ ديوان المرتضى صار محدوداً بما رسم، لا يجوز أن يضاف إليه إضافة لم يرتضها.

ونحن إذا أخذنا بروح التسامح إضافة بعض الأشعار المنشورة في كتابيه: الشهاب، وطيف الخيال، على ما في ذلك من مخالفة فنّية، فإنّا نرى في إضافة ما وجد من الشعر في غيرهما من الكتب عدواناً علمياً على الديوان؛ إذ أنّ هذا الضرب من الشعر هو في موضع الريبة، لا يصحّ أن يطمئنّ إليه الناشر اطمئناناً علمياً كاملاً، وكان أجدر به أن يفرده في نهاية الديوان باباً مستقلاً.

٢. كما أنّ الناشر قد جانب الترتيب الأصيل للديوان، الذي يظهر أنّه روعي فيه التدرج التاريخي، فعمد الناشر إلى ترتيب القوافي على حروف الهجاء غير مقيّد بترتيبه الأوّل، ذلك - كما يقول - «تسهيلاً للمراجعة وتشويقاً للمطالعة».

وكان يستطيع أن يبقى الترتيب الأصيل كما هو، ويترك هذا التسهيل الذي يعنيه لمهمّة الفهرس، كما يفعل الناشرون في إخراج الدواوين القديمة، فهم لا يتصرّفون هذا التصرّف الذي يخالف الطريقة العلمية في النشر.

ثمّ هو نفسه قد اعترف بأنّ هناك فرقاً بين ما قاله المرتضى في الصبا وما نظمه في الكهولة والكبر، ولكنّه فرق غير كبير[٢١]. فهما يكن من فرقٍ فإنّه موجبٌ للحافظة على نظام الأصل وترتيبه.

هذا مجمل ما يلمحه المتتبّع لمنهج النشر، وهناك أخطاء أخرى في المنهج، وفي تحقيق النصّ، وأدائه وتفسيره نذكر بعضا منها:

١. في المقدمة:

• في ص ٤٧: «ولعلّ قوله (كاثرته) مصحّف عن (كاشرته) -بالشين- والمكاشرة هي المجاورة، تقول جاري مكاشري أو بحذائي يكاشرني».

وصوابه: «مصحّفٌ عن كاسرته بالسين، والمكاسرة هي المجاورة ...».

يقال: هو جاري مكاسري، أي كسر بيتي إلى جنب كسر بيته.[٢٢]

• وفي ص ٨٩: «يتولّد منها دابّة يجلدها تمس الأيدي [كذا]». وقد ارتاب الأستاذ الصفّار بحقّ في كلمة «تمس» ولم يعرف وجهها.

ووجه قراءتها «تُمشّى» بالشين، أي تمسح. ومنه المشوس للمنديل الذي تمسح به الأيدي. ومنه قول امرئ القيس.

---

٢٠. كذا. يريد كشكول البهاء العاملي، وهو محمد بهاء الدين العاملي. أُنظر: - الكشكول، نحو: ص ٣٣٥ - ٣٣٦، وغيرها طبع سنة ١٣٠٢.

٢١. المقدّمة، ص ١٤٢.

٢٢. انظر: اللسان (كسر).

سال پنجم اول دوم شماره
بهار تا زمستان ۱۳۹۳
www.noormags.ir

تمشّى بِأَعْرافِ الجِيَادِ أكفُّنَا
إذَا نَحْنُ قُمْنَا عن شَوَاءٍ مضهَّبِ

٢. في الجزء الأوّل:

• في باب الهمزة المفتوحة رسم المحقّق كلّ همزة مفتوحة بعد ألف متلوةً بالألف، فيكتب مثلا بكاءَ (بكاءا)، وشاء (شاءا) وإخاء (إخاءا). وهذا مخالف تمام المخالفة للكتابة المألوفة.

• في ص ١٧ «أنت أولى بهم بناصية الفضل».
صوابه: «أولى منهم بناصية الفضل».

• وفي ص ٢٣: «طِوال هذا التداني»، وهذا من الأخطاء الشائعة.
صوابه «طَوال» بفتح الطاء، أي طول مدته، وقد تكرّر هذا الخطأ في ص ٣٠٠ من الجزء الثالث.

• وفي ص ٣٢:

وَبِهَا عَلَى أكوَارِ نَاجِيَةٍ
نَصَّ المَنَازِلُ عُنى الرّكِبُ

هى في أصل الديوان «تطس الجنادل»، فجعلها المحقّق اعتماداً على مصطفى جواد «نصّ المنازل» وقال في تخريج هذا: نصصت فلاناً، إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتّى تستخرج ما عنده، فالركب قد نصّ أهل المنازل عن الكلمة».

وهو تفسيرٌ عجيب، والقدرة على فهمه أعجب. وما في الأصل أقرب إلى الصحّة، وصوابه «تَطِس الجنادل»، من وَطس الشئ يطِسُه وطْساً: دقّه. ومنه الوطيس: المعركة، لأنّ الخيل تطِسُها بحوافرها. ومنه قول عنترة:

خَطارةً غبَّ السّرى موارةً
تطِسّ الإكامَ بوَخْذِ خفّ ميثمِ

• وفي ص ٣٣ فسّر المحقّق قول المرتضى:

حَيثُ استرثّت كلّ مُحكمةٍ
من عَقدِهِ وتزايلَ الشَّعبُ

بأنّ الشَّعب هو الصدع، والوجه أن يفسَّر بأنّه الاجتماع والصلاح والشعب من ألفاظ الأضداد، وما ذكرته هو المناسب لما في صدر البيت، ومثله قول الطرماح:

شَتَّ شعبُ الحَيّ بَعْدَ التِئَامِ
وَشَجَاكَ اليَوْمَ رَبْعُ المَقَامِ

• وفي ص: ٤٣

إنْ يَكُنْ شخصيكَ استمرَّبِهِ النَّأْ
ى... فِي الفُؤَادِ قَرِيْبُ

وجاء في التعليق: أنّ في موضع النقط كلمة محرّفة لم يهتد إلى معناها، وهي «فحبيك»، وكلمة «فحُبّيكِ» واضحة المعنى، أي فحبي إياكِ. وليس في الأمر تحريفٌ، ولا كلمة محرفة.

• وفي ص ٦٠

شَرِبْتُ خَلِيْطَ الوُدَّ مِنْهُم وَمَحْضَهُ
فَلَسْتُ أُبَالي أنْ سَقَوا غَيْرِي الضَّرْبَا

وفسّر الضَّرْب بأنّه العسل الأبيض. ووجهه «الصَّربا» بالصاد المهملة، وهو اللبن الحقين الحامض.

• وفي ص ٦١: «لا يكهَمُ الدهرُ غربَها»، صوابه: «الدَّهرَ غربُها، أى لا يكهم طول الدهر».

• وفي ص ٦٤: «تخالُ بهن من كلب ذآبا» وفسّر الذآب بقوله «أشبه بأن يكون مصدر ذئب يذأب إذا صار كالذئب دهاء وافتراساً» ووجهه «ذئاباً» جمع ذئب، وهو من أساليب التجريد البلاغية المعروفة.

• وفي ص ٧١ قول المرتضى:

وَهْوَ فِي الفِرْدَوْسِ لَمَّا قِيْلَ: قَدْ حَلّ الجُبُوْبَا

وفسّر الجُبُوب بأنّه جمع الجب، وهو الحفرة.

والصواب في ضبطه: «الجَبوبا» بفتح الجيم، وهي لفظٌ مفرد، معناه الأرض والتراب، وليس في اللفظة «جُبوب» بضم الجيم

www.noormags.ir

جمعاً للجب، والميت إنّما يجعل في حفرة واحدة.

• وفي ص ٨١: «خروق إلى الاراداء كلّ حجاب».

• صوابه: «الإرداء»، «أى الإهلاك، من أرْداه يرديه».

٣. في الجزء الثانى:

• ص ٣٥: «يُركوا طَرِيْقَ الدّيْن فِيْنا مقمراً».

• صوابه: «تركوا».

• وفي ص :٦٩

وَإنّي مِمَّن لا تُحَطُّ رِكَابُهُ
على البَلَدِ النَّابِي المُجَلهِ بالجَسْرِ

وسبق لهذا البيت في الشرح أعاجيبُ من التفسير، وأنّ المجُلّه من الجَلَه. وأنّ الحسر الانكشاف كانحسار الماء عن الأرض وانحسار الشعر عن الرأس. مع أنّ تقويم البيت من واقع الأصل - كما يقولون - هو من اليسر بمكان.

والصواب - كما يفهم من الجمع بين نسخ الديوان - : «على البلد النابي اَلمجَلّة بالحُرّ» أي: لا تحطّ ركابه على البلد الذى ينبو بالرجل بالرجل الحُرّ، وهو معنى مألوف في أشعارهم.

• وفي ص ٨٦ عنوان هو «وقال في الغزل» وذلك لأبيات «في الحكم» أوّلها:

لَا تَكْشِفَنّ عُيُوبَ النَّاسِ ما اسْتَتَرَتْ
فَكَاشِفُ العَيْبِ - مِنْ همٍّ على خَطَرِ

• وفي ص :١١٤

طَوَاهَا الشَّرَى طَيّ الحَرِيْرِ على البلَى
فَهُنَّ قِسِيّ مَا لَهُنّ مَعَاجُسُ

والحرير في هذا الوضع لا وجه له، وإنّما هو «الجرير» أي: الحبل. عنىَ أنّها صارت ضامرة كالحبال المفتولة.

• وفي ص ١١٤ أيضاً:

بِضَرْبٍ، كَمَا اختَارَتْ شِفَارُ مَناصِلٍ
وَطَعْنٍ، كَمَا شَاءَ الكَمِيُّ المُدَاعِسُ

وقد فسّر «مناصل» في الأصل بأنّه جمع منصل، وهو السيف، مع أنّ الكلمة في الأصول المخطوطة «شفار مناضِل» والمُناضل: المحارب المقاتل، وهو الذي يساير ويناسب «الكمى المَداعس»، فلاوجه لتغيير ما في الأصل، بل لو كان في الأصل: «قناصل» لوجب تصحيحه بمناضل. فهذا من التصحيح الذي جانبه التوفيق.

• وفي ص :١٣٠

وَتَصَدَّعُوا وَهْوَ المُنَى
عَنْ قَبْرِهِ صَدْعَ السُّدُوْسِ

وجاء في تفسيره: «والسدوس أصله السديس، أي: المؤلّف من ستّة أجزاء، فيكون وصفاً للجفنة المركّبة من ستّة أجزاء»، وهو تخريجٌ عجيب، وتكلّف مجهدٌ، وتحميل للألفاظ مالا تحتمل، وإنّما هي «السدوس» بعينه، وليس أصلها السديس ولا غيره، ومعنى السدوس الطيلسان. وشقّ الطيلسان وشقّ البرد ونحوهما من الثياب، من التعابير الشائعة في الشعر العربي.

• وفي ص :١٤٧

إلَى كَمْ ذَا التَّتَابعُ والتَّمَادِي
وَكَمْ هَذَا التَّصَامُم والتَّغَاشِي

وفسّر «التغاشى» بأنّه التستّر! وإنّما هو «التعاشي» بالعين المهملة، أي: تكلّف العَشا، وهو ضعف البصر، يُرِى المتعاشي من نفسه أنّه أعشى وليس به. وذلك ليتوافق مع التصامم، وهو تكلّف الصمم. ومن نظائره قول الحارث بن حلزة في معلّقته:

فَاتْرُكُوا الطَّيْخَ والتَّعَاشِي، وإمَّا
تَتَعَاشَوْا فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ

• وفي ص :١٤٨

سال پنجم اول دوم شماره
بهار تا زمستان ۱۳۹۳

www.noormags.ir

فَجُعتُ بِمُشْبِعِ السَّغَبَاتِ جُوْدَاً
وَنَافِعِ غُلَّةِ الهِيْمِ العِطَاشِ

وضبطت «السَّغَبات» بفتح السين والعين، وقيّدت في التفسير بأنّ السَّغَبات: الجوعات، وإنّما هي «السَّغِبات» جمع سَغِبة، وهي الجائعة.

• وفي ص: ١٧٨

فَلَا حُدِيتْ بِكُمْ أَبَدَاً رِكَابٌ
وَلَا رُفِعَتْ لَكُمْ أَبداً سِيَاطَا

والوجه فيه: «ولا رفعت لكم أيد سياطاً» ليستقيم إعراب البيت.

• وفي ص: ١٩٧

فَلَا مِعْصَمٌ فِيْه سِوَارٌ مُعَطَّنٌ
وَلَا مَفْرَقٌ يَعْلُوهُ تَاجٌ مُرَصَّعُ

وفسّر تفسيراً عجيباً بأن «المعَطَّن» هنا معناه الملبوس، وأصل العطن مبرك الإبل ومربض الغنم، وهو تخريج ساذج، والصواب فيه إن شاء الله: «سوارٌ معطَّفٌ». وعطف السوار والسوار المعطّف من الألفاظ الكثيرة التداول في الشعر العربي، يصفون به انحناء النهر، وتقوّس الذئب ... ونحو ذلك.

• وفي ص: ٢١٦

فِي غُلّةٍ نَبَذُوا الفِرَارَ وَهَاجَرُوا
فِي مَطْمَعِ العَلْيَاءِ كُلَّ تَوَدُّعِ

ضبطت «غُلّة» بالضم، وفسّرت بأنّها شهوة الضرب والقتال! وأين هذا الضراب من ذاك الضراب! وإنّما هي «في غلمة» جمع غلام، كما يقال «في فيية». فهذا خطأ في الضبط وفي التفسير.

وضبطت أيضاً كلمة «تودع» بأنّها «وداع البعض للبعض الآخر»، وصواب معناه: أنّهم تركوا الدَّعة والرفاهية، لانغماسهم في الحروب وخوضهم للغمار. فالتودّع هنا من الدعة، لا من الوداع.

٤. في الجزء الثالث:

• في ص: ٣٦

من اللاّتي يُسغِبْنَ النِّطَاقَ هَضَامَةً
وَيَمْشِيْنَ بالبَطْحَاء خِرْشَاً جحُولها

وفي هذا البيت أخطاء: أولها: «من اللاتي»: صوابه «من اللاءِ» وذلك ليستقيم الوزن.

و«خِرشاً»: صوابه «خُرساً»، جمع: أخرس وخرساء.

و«جحولها»، صوابه: «حجولها» جمع: حجل بالكسر، وهو الخلخال.

وخرس الحجل كناية عن ضيقه لضخامة الرجل، وهو كناية عن البدانة. ومثله قول الآخر:

«بَرّاقَةَ الجَسِيدِ صَمُوتِ الخَلخَل».

أي: الخلخال.

ومن العجب أنّ الكلمة كانت في الأصل «خرساً»، ورجّح المحقّق أنّها مصحّفة عن خِرشاً التي أثبتها مكان الصواب، وقال في تفسيرها: «خرشاً جوفاء من الخرشاء بكسر الخاء، وهو كلّ شئ أجوف فيه انتفاخ!!».

• وفي ص: ١٦٩

«وخير تلادِيَّ الذي لا أجُمُّه».

صوابه: «تلادَيّ»، لأنّه من المثنّى المضاف إلى ياء المتكلّم، كما تقول: أبوَيّ وأخوَيّ.

والصواب أيضاً، «لا أجِمُّه» من أجَمّ المالَ: جمعه وكثّره.

• وفي ص: ١٩١

يَهْتَزُّ فَوْقَهُمُ وَقَدْ طَرَحُوا ثُغَامٌ أوْ بَشَامُ

صوابه: «ثَغَام»، والثغام، كسحاب: نبت، ومثله البشام.

www.noormags.ir

• وفي ص: ٢٧٣

وَلَمْ تلْك إلاّ مِثْلَ قَبْسَةِ قَابِسٍ
وَنَغْبَةِ كُدْرٍ مَا ارْتَوَتْ مِنْ أوَامِهَا

وقد فسّر الكدر بأنّه الذي في لونه كدرة، وهو تفسير غير مباشر، وإنّما يقول الشعراء «الكدُر» يعنون بها القطا. وحسو القطا مثل للقِلة.

• وفي ص: ٢٧٥

فِي فِتْيَةٍ جَابُوا الدُّجَى إلَى الضُّحَى جَوْبَ الأدُمْ

وجاء في الحواشي: «والأدم من الإبل التي شربت جلودها بسمرة» وليس الأمر كذلك؛ وإنّما هي الأدم بالتحريك، أو الأدم بضمّتين، جمع أديم وهو الجلد، يعني أنّهم يشقّون أديم الليل، حتّى يتكشّف لهم عن الضحى مشرقاً، كما يشقّ جلد الدابة، فيتكشّف عمّا تحته من حمرة اللحم والدم.

وهذا معنى يتداولونه، وهو بالغٌ غايةَ الروعة، فيما قال المفسّرون في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ كأنّ اللّيل دابة يشقّ جلدها ويسلخ عنها، فتبدو حمرة الشفق بعد ذلك كما يبدو ما تحت الجلد من حمرة قانية.

• وفي ص: ٣٣٠

قُلْ لِلَّذِي رَقَمَتْ أمْوَالَه يَدُهُ
يُغْني مُوَيلَك مُغْنِي مَالِ قَارُوْنِ

صوابه: «يُفْنى مُويَلَكَ» أي: مالك القليل.

• وفي ص: ٣٦٠

أرِنِي العَجَائِبَ يَا أبَاهَا
فَكَبَخْصِ عَيْنِي أنْ أرَاهَا

فسّر «البخص» بأنّه لحم نائي تحت الجفن، وهو تفسير غير موفّق، وإنّما البخص هنا مصدر، يقال: بخص عينه يبخصها بخصاً، إذا قلعها مع شحمتها، يقول: «رؤيتها والعمي سيّان».

فهذا هو وجه التفسير.

• وفي ص ٣٧٥ قصيدة أولها:

يَا حَامِلَ الكَأسِ ناوِلْنِي مُشَعْشَعَةً
لم تَقرِ - همّاً ولا بُخلاً بِوَادِيهَا

وإثبات هذه القصيدة في قافية الياء خطأ محض، وإنّما موضعها قافية الهاء. والذي قرّره علماء القافية إنّه إذا سكن ما قبل الهاء أصليّة كانت أو زائدة أو مضاعفة لم تكن إلا رويّاً[٢٣]. فالأصلية كوجْه وشبْه، والزائدة، نحو: سجاياها، وفيه، وعليه، ولديه، والفتاة، والحياة. والمضاعفة، نحو: مياهها وجباهها. فهذا كله رويّه الهاء.

• وفي ص ٣٧٨ تكرّر هذا الخطأ بإثبات نحو هذه القصيدة في قافية الياء، وهي الأبيات التي أوّلها:

يَا خَلِيْلِيّ أرَاكَ مِنْ شَغَفِ الحُـ
ـبِّ خَلِيَا وأنْت تلْحَى عَلَيْهِ

فهذه في قافية الهاء لا قافية الياء.

هذه تصحيحات ظهرت لي إثر قراءة سريعة عابرة، أحببتُ أن أسهم بها في تقويم ديوان الشريف المرتضى. وفي الديوان كثير أمثال هذه. ومن زعم الكمال لنفسه فقد ظلم نفسه، وجلّ من لا يسهو ومن له العصمة وحده.

ومع هذا إنّ القارئ لهذا الديوان يرى نفسه إزاء عملٍ ضخم ومجهود نبيل، يستوجب صاحبه الحمد والثناء، ويستأهل الإجلال والتقدير.

سال پنجم شماره اول دوم
بهار تا زمستان ۱۳۹۳

٢٣. أُنظر: حاشية الدمنهوري على الكافي، ص ٨٩.

www.noormags.ir